التاريخ فى سير أبطاله

أحمـــــد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف

لم تكن مصر إذاً فى حالة تدعو إلى القلق إلا إذا كان الخلاف بين الخديو ووزرائه مشكلة تستدعى حتما تدخل الدول الأوربية لحسمها ، إذ لا يتسنى علاجها إلا على هذه الصورة

لم يكن هذا الخلاف الذى نشير إليه سوى الذريعة التى باتت انجلترة تتحينها لتخطو الخطوة التى كانت سياستها فى مصر طوال القرن التاسع عشر متجهة إليها ، وكانت انجلترة قد عولت أن تقطع العقدة إذا لم يتيسر لها حلها ، فبقطع تلك العقدة أو حلها تصيب فى الواقع غرضين : السيطرة على مصر وهـذا قصارى آمالها فى الشرق ، والتخلص من مشاركة فرنسا لها فيما هى فيه من شؤون مصر وهذا ما كانت مصلحتها تقضى بوجوب الإسراع فيه

والإنجليز قوم نبغوا فى أن يأخذوا كل شىء وألا يعطوا شيئاً ، وأن يستبطنوا دخيلة كل عدو أو حليف دون أن يكشفوا له عن شىء تنطوى عليه نفوسهم ، ولهم فى ذلك أساليب يعد نجاحهم فى إنفاذها أحد أسباب تفوقهم الكبرى

لذلك تقدم هؤلاء ليلعبوا إحدى لعباتهم السياسية وقد سهلت عليهم سياسة فرسنيه الأمر ، فقد رأى هذا أن تبتعد انجلترة وفرنسا عن التدخل المسلح فى شؤون مصر ، وفاته أنه إن استطاع أن يوجه سياسة بلاده نحو هذا الهدف فما له حيلة فى انجلترة إن استعصت عليه أو انسحبت منه

وتقدم فرسنيه يعرض على انجلترة مقترحات لحل المشكلة ، فطلب على لسان سفيره أن ترسل الدولتان سفناً من أسطوليهما إلى مياه الاسكندرية وأن تطلب الحكومتان إلى تركيا ألا تتدخل فى شؤون مصر فى ذلك الوقت ، ولكن فرنسا لا تعارض إذا حضرت قوة عثمانية إلى مصر بدعوة من الدولتين على أن يكون عملها محدوداً وأن تكون تحت مراقبتهما

ورأى فرسنيه أن تحاط روسيا والنمسا وألمانيا وإيطاليا بما تتخذه انجلترة وفرنسا حيال المسألة المصرية على أن تكون تعليمات تلك الدول إلى سفرائها فى الآستانة عين تعليمات الدولتين

أما عن مركز الخديو فقد رجعت فرنسا عن رأيها فى خلعه ذلك الرأى الذى كانت تراه لو اتبع قبل ذلك يقضى على كثير من الصعاب

وكان فرسنيه يريد من المظاهرة البحرية أن يلقى الرعب فى قلوب الوزراء ليقلعوا عن مقاومة الخديو فتنتهى الأزمة التى كانت قائمة بينه وبينهم ، ولقد وافق جرانفل على مقترحات فرسنيه فى جملتها ورأى أن يبلغ الباب العالى مع الاحتياط فى القول أنه قد تعرض عليه فى المستقبل مقترحات أخرى ، ولكن فرسنيه لم ير هذا الرأى لأنه كان يرغب عن التقرب من تركيا ولذلك رفضه بادئ الأمر ولكنه عاد فقبله بعد إلحاف جرانفل عليه وكتب إلى سفيره بالآستانة أن يبلغ السلطان أنه « ليس من المستبعد أن تقدم اقتراحات أخرى إلى تركيا فيما بعد »

وأراد جرانفل أن يبعد عن نفسه وعن حكومته تهمة الرغبة فى التدخل فى شؤون مصر فاقترح أن تدعى الدول الأوربية إلى إرسال سفن إلى الأسكندرية تقف إلى جانب السفن الإنجليزية الفرنسية ؛ وما كان جرانفل جادا فيما يقول فإنه كان على يقين أنه

سيقابل من فرنسا بالرفض ولو كانت لديه شبهة أن ستقبله فرنسا لما تقدم به ، بل لو كان هذا الاقتراح من جانب فرنسا لعارضت فيه انجلترة أشد المعارضة ؛ ولو أن انجلترة كانت جادة فى مقترحها هذا لبذلت قصارى جهدها لتحمل فرنسا على قبوله ولكنها اكتفت أن تبلغ فرسنيه على لسان وزيرها أنها تأسف ألا تقرها فرنسا على وجهة نظرها وأنها تعد من الخطأ عدم دعوة الدول إلى الاشتراك فى تلك المظاهرة ، ولكن بما أن فرنسا قد ذهبت فى الموافقة على السياسة البريطانية إلى مثل هذا الحد فإن انجلترة لا يسعها إلا أن توافق فرنسا على ما ترى

وآمن فرسنيه بنزاهة السياسة الإنجليزية ، ولو كان غير فرسنيه فى موضعه لآمن بها كما آمن هذا ، فلم يكن يدور بخلد أحد يومئذ أن انجلترة كانت تترقب الفرص لتنقضّ على الفريسة دون فرنسا ولا كان فى عملها ما يستراب منه ؛ ولكن الإنجليز فى هذا العالم خير من انتصح بنصائح مكيافلى وخير من حذقها ولو قد تأخر الزمن بهذا الرجل لأخذ عنهم مبادئه ولوجد فى أساليبهم وخططهم أبلغ أمثلة كتابه

الحق أن هذا المكر كان يدق على فرسنيه وغير فرسنيه من أولى الخبرة والدهاء من الرجال ؛ وما كان ليفطن إلى هذا إلا من يسيء الظن بانجلترة فيكون مبعث فطنته سوء الظن لا حسن الفهم وبعد النظر ، ونحن إنما نفطن إلى هذه السياسة بعد أن تكشفت وتعاقبت عليها السنون ، ولقد فطن إليها فرسنيه ورجال حكومته وشعبه لا ريب يوم وقعت الواقعة وانفردت انجلترة بضرب الأسكندرية غير حاسبة لأى شيء من حولها حساباً

وكانت انجلترة تبغى من سياستها هذه أن تصرف الدول عن مصر فإن دعوة تلك الدول إلى مشاركتها فى المظاهرة البحرية يظهرها بمظهر من لا غرض له إلا الصالح العام فى حين أن انفرادها هى وفرنسا بالأمر يغضب الدول ويجعلها تميل إلى التدخل لتنال حظّاً من الغنيمة فى مصر أو فى غير مصر يوم يقوم الحساب وتوزع الأسلاب

وفضلاً عن ذلك فقد كانت انجلترة تحذر أشد الحذر أن تغضب السلطان فينحاز إلى عرابى وحزبه ضد توفيق فيظهر هؤلاء بمظهر المحافظين على حقوق السلطان صاحب الحق الشرعى ضد الخديو ومشايعيه من الطامعين ، وهنالك فكل تهمة بالعصيان ضد عرابى أمام الشعب المصرى إنما تذهب أدراج الرياح

ولقد فطن ماليت إلى خطورة هذا الأمر وكتب إلى حكومته ينذرها أن إغفال تركيا من شأنه أن يضم النواب إلى العسكريين فيقفوا جميعاً صفاً واحداً ضد أوربا أو على الأقل إنه يقوى جانب عرابى وأشياعه

وودت انجلترة لو طاوعتها فرنسا فيما أشارت به ، ولما وجدت إصرارها على استبعاد تركيا والدول جميعاً لم تر بدا من أن ترسل إلى الدول قراراً ينفى أى نية فى احتلال مصر ويؤكد أن إنجلترة لم ترد بالمظاهرة البحرية إلا إقرار السلام داخل مصر وأنها سوف تترك مصر وشأنها إذا قضى على ما فيها من القلاقل ؛ وإذا لم تنجح تلك الوسائل السلمية فسوف تتفق انجلترة والدول على ما تراه هى وفرنسا خير سياسة تتبع

وتحدث اللورد دوفرين سفير انجلترة بالآستانة إلى وزير الخارجية العثماني فى لهجة شديدة قائلاً : إنه إذا لم تعمل تركيا ما من شأنه أن يسهل على انجلترة خطتها فسوف تزيد انجلترة عدد القطع فى الإسكندرية وتطيل أمد بقائها جميعاً هناك

ولكن السلطان آلمه وأغضبه أن توجد السفن الفرنسية الانجليزية أمام الاسكندرية فلم يكف عن احتجاجه وإعلان سخطه مما زاد الموقف العام حرجاً وتعقيداً

وبينما كانت فرنسا وانجلترة تتبادلان الرأى على النحو الذى نذكر ، كان الحنق فى مصر على الخديو يتزايد يوماً عن يوم ، وما زال الناس فى قلق وخوف من موقفه ومشايعته الانجليز على هذه الصورة حتى وصلت السفن إلى الاسكندرية

ولقد أخذ بعض الناس على الوطنيين أنهم لم يخلعوا الخديو فى ذلك الوقت ويتصلوا بتركيا طالبين تعيين غيره ؛ والواقع أنها مسألة دقيقة ، فمن الناحية الوطنية كان الوطنيون يرون ضرورة خلعه ، وحجتهم أن السكوت معناه التفريط فى جانب الوطن ، ولكنهم من الوجهة الأخرى كانوا يرون أن عملهم هذا يتقلب وبالاً عليهم فى ظروف كتلك الظروف التى أذاعت فيها أوربا عنهم المزعجات من الشائعات

وفى هذه الآونة حدث فى صفوف النواب ما تخجل أشد

الخجل من ذكره ، فقد انحاز كبيرهم سلطان إلى الإنجليز وشايعه عدد منهم ليس بالقليل ولم يكن للوطنيين من عاصم فى تلك المحنة إلا الاتحاد والثبات فكأنما تأبى الأيام إلا أن تجعل من أبناء مصر بعضهم لبعض عدوا ، وكأن ذلك لكثرة ما تكرر من طباعهم التى فطروا عليها ؛ ولطالما نكب هذا الشرق المسكين بتخاذله وانقسام أبنائه بعضهم على بعض مع أنهم يرون الظالمين الطامعين فيهم من أهل الغرب بعضهم فى الكيد لهم أولياء بعض !

وكان انحياز سلطان والمستضعفين من النواب معه إلى الخديو أولى ثمرات المظاهرة البحرية ؛ فإن سلطانا حينما علم بها من الخديو فكر وتدبر ورأى أن المستقبل للخديو ؛ فلما حضرت السفن اطمأن إلى الخديو وآثر أن يبادر بالانضمام إليه لتكون له الحظوة والمكانة عنده وعند الإنجليز أولى الجاه والبأس ؛ وأمثال سلطان هذا إنما يعملون لأشخاصهم فحسب ، وعلى ذلك فهم عبيد القوة وإن تعاظموا ، وهم أضعف الناس وإن تطاولوا ، وهم أحرص الناس على المادة وإن تظاهروا بالنبل والعفة ، وهم إنما يدلون بجاه من يستكينون إليهم إدلال الخادم بسيف سيده

ونشط ماليت وأعوانه من جديد يذيعون أسوأ الأنباء عن مصر وعن عرابى وحزبه على وجه الخصوص ، حتى لقد وقف جرانفل فى مجلس اللوردات فى يوم ١٥ مايو يتوعد مصر ويتهدد ويصرح فى غير تردد ولا استحياء أن النواب والأمة جميعاً فى صف الخديو

وكان مستر بلنت لا يزال يسعى سعيه فى انجلترة لصالح الوطنيين وكانت بينه وبين عرابى مراسلات برقية قبل تصريح جرنفل يؤكد فيها عرابى الهدوء والسلام فى مصر ، فلما أعلن جرنفل تصريحه أرسل بلنت إلى عرابى رسالة برقية بتاريخ ١٦ مايو يقول فيها : « قال لورد جرانفل فى البرلمان إن سلطان باشا والنواب قد انضموا إلى الخديو ضدك ، فإن كان هذا القول غير صحيح فاطلب إلى سلطان باشا أن يرسل إلى تكذيباً ، وإذا اتحدتم فلا تخشوا شيئاً . . . ألا يمكنكم أن تؤلفوا وزارة يكون سلطان رئيساً لها ؟ وعلى كل حال عليكم بالثبات »

وأرسل هذا الرجل الحر إلى سلطان باشا فى نفس الوقت برقية هذا نصها : « أعتقد أن جميع أولئك الذين يحبون مصر يجب أن يتحدوا فلا تتشاجر مع عرابى . إن الخطر عظيم » كما أرسل إلى كل من بطرس باشا وأبو يوسف ومحمد باشا الفلكى هذه البرقية « هل الحزب الوطنى مع عرابى الآن ؟ الحكومة الإنجليزية تدعى أنه ليس كذلك . إذا ذهب اتحادكم ضحيتكم أوربا إلى أملاكها » ووصلت هذه البرقية أيضاً إلى الشيخ محمد عبده والشيخ الهجرسى وعبد الله أفندى نديم

وجاء بلنت رد سلطان فإذا به يقول : « لقد زال الخلاف الذى كان بين الخديو وبين الوزارة ولم يبق له أثر . وكلنا متفق على المحافظة على الأمن والسلام وعلى مناصرة الوزارة الحاضرة »

وتلقى كذلك مستر بلنت برقية من الشيخ الأنبابى شيخ الجامع الأزهر نصها : « من الشيخ الانبابى شيخ الإسلام . سوى الخلاف بين الوزارة والخديو ، والحزب الوطنى راض بعرابى ، والأمة والجيش متحدان »

وكتب الشيخ محمد عبده إليه أيضاً مثل هذا المعنى .

(يتبع) الخفيف

كتاب الدين والعقل
أو برهان القرآن

تأليف الأستاذ أحمد عاطف أفندي

فى استنباط براهين عقائد الاسلام من القرآن الكريم مبتدئة باحدث النظريات العلمية يحتوي على مقدمة وسبعة أجزاء (البرهان القاطع في وجود الصانع) (الرسالة وبعثة الأنبياء عليهم السلام) (البعث والمعاد) (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) (القرآن كلام الله) (إن الدين عند الله الاسلام) (ميزان الأديان) — وهو فى نحو اربعمائة فصل مصدرة بدلائلها من القرآن على أسلوب جديد لعلم الكلام. وهو موسوعة كبرى لدلائل الدين وأمنية المصلحين من القديم وملتقى الثقافتين . قد قرظه كبار العلماء وشهدوا بأنه وحيد فى بابه لم ينسج على منواله من قبل، وأنه قد سد فراغا فى الدين كان يجب أن يسد قبل اليوم بقرون، وأنه ضرورى لأبناء هذا العصر منهم حضرات : الأحدى الظواهرى . يوسف الدجوى . زاهد الكوثرى . عبد المجيد اللبان . الخضر حسين . حسن البنا . عبد الوهاب النجار . طنطاوى جوهرى . شكيب ارسلان . فريد وجدى . جاد المولى — والكتاب فى ثلاثة مجلدات يطبع بمطبعة الرسالة على أجود ورق. وقيمة الاشتراك فى المجلد الواحد قبل الطبع ١٠ قروش صاغ وفى المجلدات الثلاثة ٢٥ قرشا ويكون الثمن بعد الطبع ١٥ قرشا من المجلد و ٤٥ قرشا عن الكتاب كله

والاشتراكات ترسل باسم مجلة الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤ بعابدين مصر